ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

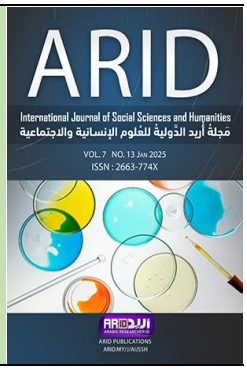

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والاجتماعية

العدد الثالث عشر، المجلد السابع، يناير 2025 م

إدارة الأزمات في السنة النبوية (غزوة الأحزاب نموذجًا)

د. نايف بن ناصر المنصور

كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية – كوالا لامبور – ماليزيا

Crisis Management in the Prophetic Tradition (The Battle of the Trench as a Model)

Dr. Naif Naseer Almansoor

College of Islamic Sciences - Al-Madinah International University - Kuala Lumpur – Malaysia

naifco2013@gmail.com
arid.my/0004-1464
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2025.6137

ARTICLE INFO

Article history:
Received 11/07/2024
Received in revised form 29/08/2024
Accepted 09/11/2024
Available online 15/01/2025
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2025.6137

ABSTRACT

Among the rules of life for Muslims is exposure to hardships and tribulations of all kinds, a test and test from God Almighty It is our duty, as Muslims, to learn the biography of the Prophet, may God bless him and grant him peace, which is considered an educational approach and the highest values. The whole world benefits from it. His life, may God bless him and grant him peace, and his dealings with others were based on humanity and building relationships in which love, peace, mercy, and tolerance prevail with others. The Prophet, may God bless him and grant him peace, treated the entire universe with the principle of benevolence and gave security and security to everyone. However, he... The Jews incited the Arab tribes against the Messenger, may God bless him and grant him peace, and formed a unified army to besiege the Muslims, which was called (the Battle of the Parties), in the fifth year of the Hijra. The enemies surrounded the Muslims from above them and from below them, until their eyes became distorted and their hearts reached their throats.

The Prophet, may God bless him and grant him peace, embodied the best model for managing this crisis in all its aspects and types. The research included chapters of the crisis and its treatment by setting goals and gathering information, opening the field of consultation, and following up on work in confronting the enemy. The structure of the research consists of explaining the reasons for the invasion, the participating parties, and the role of The hypocrites in this crisis and their support for the army of the parties, the social conditions inside Medina, and mentioning the military statements of the armies and the results of this crisis and the war with the parties and the lessons learned from them.

الملخص

من سنن الحياة على المسلمين التعرّض للشدائد والمحن بأنواعها ابتلاء وامتحان من الله تعالى {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}، وإنّ من الواجب علينا كمسلمين أن نتعلم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تُعد منهجاً تربوياً وقيماً عليا يرجع اليها العالم بأسره ويستفيد منها، فقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم ومعاملته مع الآخرين قائمة على الإنسانية وبناء العلاقات التي يسودها الود والسلام والرحمة والتسامح مع الآخرين، لقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم الكون كله بمبدأ الإحسان وأعطى الأمن والأمان للجميع، و مع ذلك فقد قام اليهود بتحريض قبائل العرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتشكيل جيش موحد لحصار المسلمين سميت (غزوة الأحزاب) وذلك في السنة الخامسة من الهجرة، وأحاط الأعداء المسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر

ولقد جسّد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل نموذج لإدارة هذه الأزمة بجميع أطرافها وأنواعها ولقد تضمن البحث فصول الأزمة ومعالجتها من خلال تحديد الأهداف وجمع المعلومات، وفتح مجال الشورى، ومتابعة العمل في مواجهة العدو، ويتكون هيكل البحث من بيان أسباب الغزوة، والأطراف المشاركة، ودور المنافقين في هذه الأزمة ومساندتهم جيش الأحزاب، والأحوال الاجتماعية داخل المدينة المنورة، وذكر البيانات العسكرية للجيوش ونتائج هذه الأزمة والحرب مع الأحزاب والدروس المستفادة منها.

المقدمة:

من سنن الحياة على المسلمين التعرُّض للشدائد والمحن بأنواعها ابتلاءً وامتحانًا من الله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة: 155

لأجل تكفير السيئات ورفعة الدرجات، وأن يقابل الله تعالى خاليًا من كل ذنب وخطيئة، ومن الواجب علينا كمسلمين أن نتعلم سيرة النبي ﷺ التي تُعد منهجًا تربويًّا وقيمًا عليا يرجع إليها العالم بأسره ويستفيد منها، فقد كانت حياته ﷺ ومعاملته مع الآخرين قائمة على الإنسانية وبناء العلاقات التي يسودها الود والسلام والرحمة والتسامح مع الآخرين، لقد عامل النبي ﷺ الكون كله بمبدأ الإحسان وأعطى الأمن والأمان للجميع، ومع ذلك فقد قام اليهود بتحريض قبائل العرب ضد الرسول ﷺ، وتشكيل جيش موحد لحصار المسلمين سُمِّيت (غزوة الأحزاب) وذلك في السنة الخامسة من الهجرة، وأحاط الأعداء المسلمين من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، ووصف القرآن الكريم هذه الحالة بأبلغ بيان، قال تعالى: (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) الأحزاب: 10 – 11، إن الذي يتأمل ما حصل في غزوة الأحزاب وما فيها من أحداث، واختبار للمسلمين في قوة إيمانهم وإظهار المنافقين، وتمييز الخبيث من الطيب، قال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159]، ونرى المؤمنين في هذه الغزوة قد ازدادوا إيمانًا وتسليمًا، وزادتهم الأزمة إيمانًا ويقينًا، قال تعالى: (وَإِذْ رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّـهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّـهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّـهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّـهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّـهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25))" [الأحزاب: 22 – 25]، ولقد جسّد النبي ﷺ أفضل نموذج لإدارة هذه الأزمة بجميع أطرافها وأنواعها وواجها بأفضل الوسائل من خلال تحديد الأهداف وجمع المعلومات، وفتح مجال الشورى، ومتابعة العمل في مواجهة العدو.

وقد أوضح الباحث من خلال بحثه الذي يتضمن:

مقدمة.

الفصل الأول: أسباب الغزوة، وفيه ثلاثة مباحث:

(الدوافع السياسية، إغراء اليهود للقبائل العربية، دور المنافقين في هذه الغزوة).

والفصل الثاني: إدارة الأزمة، وفيه أربعة مباحث:

(مبدأ الشورى، مشاركة القيادة، سرعة الإنجاز، الأحوال الاجتماعية).

والفصل الثالث: بيانات الغزوة، وفيه سبعة مباحث:

(عدد الجيش في الطرفين، المناوشات بين الجيشين، اتفاق اليهود مع المشركين على غزو المسلمين من الخلف، الريح التي سلطها الله سبحانه على الأحزاب، دور الصحابة في المعركة، القتلى من الجيشين، نتائج الغزوة).

وخاتمة تلخص أثر هذه الغزوة على المنطقة. ونسأل الله الإعانة والتوفيق.

مشكلة البحث:

دائمًا ما يتم الحديث عن غزوة الأحزاب، وذكر أحداثها ونتائجها بأسلوب السرد التاريخي، بحث يمر عليها القارئ بشكل مجمل دون التأمل في بعض التفاصيل التي يتبين من خلالها أن دولة الإسلام هي دولة حقيقية بكافة أركانها وسياساتها، وليست مجرد تجمع بشري برابطة الدين دون نظام يسيّر أمورهم، فيأتي هذا البحث بإذن الله على بيان ذلك.

أهداف البحث:

1- التعريف بغزوة الأحزاب من خلال المصنفات الحديثية والسيرة النبوية.

2- بيان تعرض الأنبياء ﷺ للشدائد خلال دعوتهم قومهم إلى التوحيد.

3- براعة النبي ﷺ في إدارة الأزمة والتعامل معها بما يؤول إلى انتصار المسلمين.

4- ذكر جهود الصحابة ﷺ وإخلاصهم للنبي ﷺ وللدين الإسلامي.

5- توضيح دور أعداء الإسلام المتمثل في (المنافقين) بمحاولاتهم المستمرة للقضاء على المسلمين.

منهج البحث:

اتبع الباحث في ذلك المنهج الوصفي من خلال استقراء كتب السيرة النبوية والمصنفات الحديثية لجمع المادة العلمية للموضوع.

الدراسات السابقة:

حيث إن مثل هذا الموضوع وتعلقه بالسيرة النبوية للمصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- فمن الطبيعي أن يكثر الحديث عنه، فمن خلال البحث عن موضوع غزوة الأحزاب ظهر الكثير من المقالات والأبحاث عنها، ولكن غالب هذه الكتابات تكون بأسلوب السرد التاريخي بذكر أسباب الغزوة وتفاصيل أحداثها، فرأى الباحث الاختصار والوقوف على بعض الأبحاث المتنوّعة فيما يتعلق بذلك على النحو التالي:

- إدارة الأزمات في الإسلام؛ للدكتور صلاح الدين حسن محمد عبد الله، تناولت هذه الدراسة الأزمات والنزاعات والمشاكل التي ظهرت إبان فترة صدر الدعوة وعهد الخلفاء الراشدين والفترة التي تلت ذلك في عهد بني أمية وبني العباس، وقد تطرقت الدراسة للأسس التي اتبعت ارتكازًا على المنهج القرآني والسنة النبوية الشريفة وكيفية مواجهة هذه الأزمات التي كادت تقص الإسلام والمسلمين، ومن ضمن هذه الأزمات غزوة الأحزاب.

- الآثار الدينية والسياسية لغزوة الأحزاب؛ دراسة تاريخية تحليلية من إعداد الدكتور محمد عامر مظاهري: تناول فيها الحديث عن مسببات الغزوة وأثر انتصار المسلمين في هذه الغزوة من تعمق الإيمان في نفوس المسلمين وسيادة الدين الإسلامي وهيبة المسلمين عند بقية القبائل في جزيرة العرب.

- غزوة الأحزاب الموقع والحدث؛ للدكتور عبد العزيز محمد نور عبد القادر ولي. تناول فيها تحالف الأحزاب ضد المسلمين، وأحداث المعركة بأسلوب السرد التاريخي.

- خصائص النجاح في إنجاز المشروعات الكبرى رؤية هندسية لحفر الخندق في غزوة الأحزاب؛ للدكتور عبد الله حسين القاضي. تكلم في بحثه عن الموضوع من ناحية هندسية في حفر الخندق ضمن عدد محدود من القوى البشرية، وظروف مناخية صعبة، وخوف محقَّق من كل اتجاه.

مصطلحات البحث:

إدارة - أزمة - غزوة – أحزاب.

وقبل أن نبدأ الحديث عن غزوة الأحزاب (الخندق) يجب توضيح بعض المفاهيم والمصطلحات حول موضوع الكتاب، حتى يتبين لنا المقصود من تأليفه.

فالإدارة في اللغة:

دور: دار يدور، دورانًا، والدواري: الدهر يدور بالإنسان أحوالًا، والدوار، مثقّل ومخفّف: حجر كان يؤخذ من الحرم ويُطاف به، والدوار في الرأس، يُقال منه: دير بي وأدير بي، والدائرة: معروفة (أحمد بن فارس اللغوي، مجمل اللغة، 339/1)

ودور: دار الشيء واستدار وأدرته أنا، وأداره غيره ودوارًا: دار معه وتدوير الشيء:

جعله مدورًا، وفي الحديث الشريف: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض» (البخاري،3197)، ويُقال: دار يدور واستدار يستدير بمعنى: إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه.

والإدارة في الاصطلاح:

تعددت تعريفات الإدارة، فاختلفت في بعض الجوانب، واتفقت في بعضها الآخر، وفيما يلي عرض لبعض التعريفات:

1) عرف محمد مهنأ العلي الإدارة في معناها العام: بأنها: إنجاز وتنفيذ السياسات العامة للدولة ككل، والتي ترسمها وتضع خطوطها العريضة الجهات المختصة في الدولة.

هذا التعريف على أهميته إلا أنه لم يكن جامعًا ولا مانعًا، إنما هو أقرب إلى الوصف منه إلى المفهوم، ولم يشتمل على عمليات الإدارة الأساسية، وهي التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة.

فأما المعنى اللغوي للأزمة:

الأَزْمَة: الشدَّةُ والقحط. يُقال: أصابتهُمْ سَنَةٌ أَزَمَتْهُمْ أَزْمًا؛ أي: اسْتأْصَلَتْهُمْ. وأَزَمَ علينا الدهرُ يَأْزِمُ أَزْمًا؛ أي: اشتدَّ وقل خَيره. ويُقال أيضًا: أَزَمَ الرجل بصاحبه، إذا لَزِمَه. وأَزَمَهُ أيضًا؛ أي: عضَّه. وأَزَمَ عن الشيء؛ أي: أمسك عنه (ابن منظور، 17/12)

قال الرازي في مختار الصحاح: أزم عن الشيء أمسك عنه وبابه ضرب، وفي الحديث أن عمر ﷺ سأل الحارث بن كلدة: ما الدواء؟ فقال: الأزم؛ يعني: الحمية، وكان طبيب العرب. والمأزم المضيق، وكلّ طريق ضيق بين جبلين مأزم، وموضع الحرب أيضًا مأزم، ومنه سُمِّي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين. (الرازي، 6/1)

وفي الاصطلاح يأتي معنى الأزمة:

لحظة حرجة وحاسمة تتعلق بمصير الكيان الإداري الذي أصيب بها، مشكلة بذلك صعوبة حادة أمام متخذ القرار تجعله في حيرة بالغة. (الخضيري، 53/1)

الفصل الأول: أسباب غزوة الأحزاب

المبحث الأول: (الدوافع السياسية):

اتفق العلماء وأهل السير على أن سبب هذه الغزوة هو إجلاء يهود بني النضير من المدينة مما جعلهم يحقدون على الإسلام والمسلمين ويضمرون العداء ضد النبي ﷺ ودولة الإسلام، فقد روى ابن إسحاق قال: إنه كان من حديث الخندق (القاموس، 116/2) (1) أن نفرًا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: «إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله». فقالت لهم قريش: «يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟». قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 50] (2)

قال ابن إسحاق: «فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واعتدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ، وأنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم فيه» (3). (ابن هشام، 214/3)

(1) الخندق: حفير حول أسوار المدن معرب (كندة) وهي الحفرة، وخندق حفرة.
(2) انظر ذلك في السيرة النبوية (214/2-215)، والبداية والنهاية (94/4)، وتاريخ الطبري (565/2)، والطبقات الكبرى (65/2)، وعيون الأثر (55/2).
(3) السيرة النبوية لابن هشام (214/3)، وسائر كتب المغازي.

وقال ابن القيم رحمه الله في ذلك: «وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أُحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل، فقد خرج أشراف اليهود إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ وحربه. (زاد المعاد، 270/3) وكان القرشيون قد جربوها واكتووا بنارها، فصاروا يتهيبونها ويزهدون فيها. فزينها الوفد اليهودي، وهون أمرها، وقالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله».

وتم الاتفاق بين قريش وغطفان على شروط، من أهمها:

1- أن تشارك غطفان في الجيش بأكبر عدد ممكن.

2- أن يدفع اليهود لقبائل غطفان كل تمر خيبر لسنة كاملة.

وأسندت قيادة الجيش لأبي سفيان بن حرب، وكان عدد المشركين عشرة آلاف.

وقد اختلف العلماء في زمن وقوع الغزوة بين السنة الرابعة والخامسة للهجرة النبوية الشريفة.

«والثابت أنها في الرابعة بلا شك مستدلًا بحديث ابن عمر الآتي. ثم عقَّب قائلًا: فصح أنه لم يكن بينهما –أي: بين أحد والخندق- إلا سنة واحدة فقط».

والقائلون بأنها كانت سنة أربع جميعهم يستدلون بحديث ابن عمر، وهذا سياقه. قال البخاري (صحيح البخاري، 89/5): «حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله، قال: أخبرني نافع عن ابن عمر Λ أن النبي ﷺ عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه» (4).

المبحث الثاني: إغراء اليهود للقبائل العربية على قتال المسلمين:

وكم هي عادة اليهود في كل زمان ومكان في إثارة الفتنة والعداوة والتحريش والتحريض، فإن القبائل التي قام اليهود بإغرائها على قتال المسلمين كما ذكرنا هي قريش وغطفان. أما غير هاتين القبيلتين فكان تابعًا لهما. قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم (5) ومَن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومَن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد إضافة إلى بني قريظة الناقضين العهد، حيث أحاطت هذه الفرق بالمسلمين من كل جهة.

(4) كتاب المغازي باب غزوة الخندق.

(5) الأحابيش: بطن اختلف فيه، فقال ابن قتيبة: هم بنو المصطلق، والحياء بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة. اجتمعوا بذنب حبشي -وحبشي بالضم: جبل بأسفل مكة- فتحالفوا بالله؛ إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل وأوضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه. وقال حماد الراوية: إنما سموا بذلك لاجتماعهم، والتحابش هو التجمع في كلام العرب. وقال الجوهري: «بطن من قريش». وقال أبو الفداء: «هم من بطون كنانة بن خزيمة»، ثم قال: «وليسوا من الحبشة كما يتوهم بعضهم». القاموس المحيط (267/2)، تاج العروس والمعارف (269)، معجم قبائل العرب (5/1).

وضاق المسلمون بهذا الحصار ذرعًا، ووصف الله الوضع في قوله تعالى: ﴿"إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ (10) هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا"﴾ [الأحزاب: 10 - 11]، فلك أن تتخيل أخي القارئ هذه الأوضاع في عدد الجيوش المحاصرة للمدينة، ومن كل اتجاه، لكن الله نصر عباده المؤمنين ودحر أعداء الدين.

المبحث الثالث: دور المنافقين (تفسير ابن كثير، 176/1) (6) في هذه الغزوة:

من أساليب المنافقين للمسلمين في الأزمات هو التخذيل وشق الصف من بداية الغزوات التي غزاها النبي ﷺ وصولًا إلى غزوة الأحزاب، فهناك فئة من المنافقين أخذوا في بث الرعب والتهويل من شأن الأحزاب وتخذيل المسلمين. قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب: 13]؛ أي: لا مقام لكم في أرض المعركة؛ لكثرة عدوكم، وهم بذلك يدعون للرجوع والهروب من أرض المعركة وترك النبي ﷺ، وهناك فئة من المنافقين طبقت هذا التخذيل خوفًا على نفسها وتخويفًا للمؤمنين. قال تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13].

ومن أساليبهم أيضًا بث الشك في قلوب المؤمنين بالنصر والظفر على الأعداء. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12] جاء عند الطبراني عن ابن عباس قال: «احتفر رسول الله ﷺ الخندق، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «هل دللتم على رجل يطعمنا أكلة؟». قال رجل: نعم. قال: «إمالا (7) فتقدم فدلنا عليه». فانطلقوا إلى رجل، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلت امرأته أن جئ، فإن رسول الله ﷺ قد أتانا، فجاء الرجل يسعى فقال: بأبي وأمي وله معزة. ومعها جديها فوثب إليها، فقال النبي ﷺ: «الجدي من روائنا»، فذبح الجدي وعمدت امرأته إلى طحينة لها، فعجنتها وخبزت وأدركت وثردت، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فوضع النبي ﷺ أصبعه فيها، فقال: «بسم الله، اللهم بارك فيها، أطعموا». فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا إلا ثلثها وبقي ثلثاها، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرحوا إلينا بعدتكم، وجاء أولئك العشرة مكانهم فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق. فقال: «اذهبوا بنا إلى سلمان، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها»، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «دعوني، فأكون أول مَن ضربها». فقال: «بسم الله»، فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال: «الله أكبر، قصور الروم ورب الكعبة»، ثمَّ ضرب أخرى فوقعت فلقة، قال: «الله أكبر، قصور فارس ورب الكعبة». فقال عندها المنافقون: نحن بخندق، وهو يعدنا قصور فارس والروم»، (المعجم الكبير، 376/11). وهكذا ديدنهم في كل حادثة تتعلق بالإسلام والمسلمين حتى في عصرنا الحاضر ممن شابههم في الفعل والاعتقاد.

(6) والنفاق هو بالكسر فعل المنافق. قال ابنُ كثيرٍ: «النِّفاقُ هو إظهارُ الخيرِ وإسرارُ الشَّرِّ، وهو أنواعٌ: اعتقاديٌّ، وهو الذي يخَلِّدُ صاحِبَه في النَّارِ، وعَمَليٌّ، وهو من أكبرِ الذُّنوبِ».

(7) قال في حاشية الصبان شارحًا لهذه الكلمة: حُذفت كان مع معموليها بعد أن في قولهم: أفعل هذا إمالا؛ أي: إن كنت لا تفعل غيره فما عوض عن كان، ولا نافية للخبر، ومنه قوله: أمرعت الأرض لو أن مالا - لو أن نوقًا لك أو جمالا - أو ثلة من غنم إمالا.
التقدير: إن كنت لا تجد غيره. حاشية الصبان (245/1).

الفصل الثاني: إدارة الأزمة

المبحث الأول: مبدأ الشورى:

إن الشورى من الأمور التي أمر الله بها نبيه ﷺ لتأليف قلوب أصحابه، وليتوضَّح منهم الرأي في مسألة الحروب والأمور التي لم ينزل فيها وحي من الله تعالى، وجاء بيان ذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]. وكانت أول مشاورته ﷺ لأصحابه يوم الخندق في الدفاع عن المدينة في مصالحة الأحزاب بثلث تمر المدينة في ذلك العام، فرفض رؤساء الأنصار المصالحة، وذلك بدليل الحديث الذي رواه البزار: عن أبي هريرة قال: جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، ناصفنا تمر المدينة، وإلا ملأناها عليك خيلًا ورجالًا، فقال: «حتى استأمر السعود(8) سعد بن عبادة وسعد بن معاذ»؛ يعني: يشاورهما، فقالا: لا والله ما أعطينا الدنية من أنفسنا في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله بالإسلام، فرجع إليه الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد. قال: فقال حسان:

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإنَّ محمدًا لا يغدر

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم واللؤم ينبت في أصول السخبر

وأمانة النهدي حيث لقيتها مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

قال: فقال الحارث: كف عنا يا محمد لسان حسان، فلو مزج به ماء البحر لمزجه (9)

أما المشاورة الثانية التي حصلت في هذه الغزوة، فقد حصلت عندما سمع النبي ﷺ ما أجمع عليه كفار قريش ومَن تابعهم على المسير إلى المدينة، فاستشار الصحابة M، وتمخضت تلك المشاورة عن رأي سديد أدلى به سلمان الفارسي I حيث أشار بحفر الخندق لكي يحول بين العدو وبين المدينة (10).

(8) بمعنى: استشر، والسعود جمع سعد، وهو هنا يريد السعدين بن معاذ وابن عبادة، واستشارته ﷺ لهما يدل على فضلهما لدى رسول الله ﷺ ولدى قومهما؛ لذلك قال ابن الأثير عند ترجمة سعد بن عبادة: جاء الخبر أن قريشًا سمعوا صائحًا يصيح ليلًا على أبي قبيس:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف مخالف

قال: فظنت قريش أنه يعني: سعد بن زيد مناة بن تميم وسعد هذيم من قضاعة، فسمعوا الليلة الثانية قائلًا.

يا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرًا ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف

(9) قال البزار: «لا نعلم رواه عن محمد بن عمرو هكذا إلا عثمان، ولم نسمعه إلا من عقبة».

والحديث بهذا السند يعتبر حسنًا لذاته، وقد ذكره ابن الأثير عند ترجمة سعد بن مسعود الأنصاري، وكذا ذكره الحافظ في الإصابة (36/2).

(10) زاد المعاد (271/3)، السيرة الحلبية (631/1). ولم يرد في ذلك حديث صحيح، قال الحافظ في فتح الباري (393/7): «وكان الذي أشار بذلك سلمان، فيما ذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر، قال: قال سلمان...» فذكره، ولم يسق له إسنادًا. وأبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندي (ت171هـ) روى له الأربعة، وضعّفه الجمهور، وكان الإمام أحمد يرضاه، ويقول: «كان بصيرًا بالمغازي». سير أعلام النبلاء (437/7)، التهذيب (420/10).

وليست العلة في ضعف أبي معشر فحسب؛ بل كون الخبر مرسلًا، حيث ساقه دون إسناد. ولم يشر ابن إسحاق إلى مشورة سلمان الفارسي، وإنما قال: «فلما سمع بهم (أي: الأحزاب) رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر؛ ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبًا للمسلمين في الأجر ...». الروض الأنف (6/ 262). وإنما ذكره ابن هشام بدون إسناد؛ حيث قال: «يُقال: إنَّ سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ». الروض الأنف (272/6).

فقد كان حفر الخندق فكرة جديدة ومبتكرة ومهمة للغاية للدفاع عن المدينة والاشتباك المباشر مع جيش الأحزاب، ولقد كان لتنفيذها أكبر الأثر في صدها عن اقتحام المدينة.

ولقد تم حفر الخندق في المنطقة الشمالية الغربية من المدينة؛ لأن هذا المكان هو أصلح موقع يجب أن يعسكر فيه مَن يريد الدفاع عن المدينة؛ لأنه الناحية الوحيدة المكشوفة التي لا بد لأي جيش يريد غزو المدينة من أن يتَّجه إليها؛ ذلك لأنَّ الجهات الأخرى محاطة بأشجار النخيل والجبال.

وعندما قرَّر الرسول ﷺ حفر الخندق -بعد المشاورة- أمر بنقل النساء والذراري إلى الآطم (11) الحصينة حتى لا يصيبهم مكروه؛ لأنه كان يتخوَّف عليهم من اليهود -بني قريظة- حيث كانت منازلهم مما يلي العوالي، وكانوا قد مالؤوا الأحزاب ووافقوهم على نقض العهد الذي أبرموه مع النبي ﷺ. فقد روى الطبراني عن هرير بن عبد الرحمن بن رافع بن خديج عن أبيه عن جده قال: لما كان يوم الخندق لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه، فقال: «إن ألمَّ بكن(12) أحد فالمعن بالسيف» فجاءهنَّ رجل من بني ثعلبة بن سعد يُقال له: نجدان -أحد بني جحاش على فرس حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلى خير لكنَّ، فحركن السيف، فأبصره أصحاب النبي ﷺ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يُقال له: ظهير بن رافع، فقال: «يا نجدان ابرز»، فبرز إليه فحمل عليه فرسه، فقتله وأخذ رأسه، فذهب به إلى النبي ﷺ (13)

المبحث الثاني: مشاركة القائد الأعمال مع جيشه:

فقد كان صلوات الله عليه وسلامه المثل الأعلى في التواضع والخُلق الجم، وتواضعه في هذا الموضع مما روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق. فذبحتُ العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو» فذكرت له: فقال: «كثير طيب». قال: «قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبر من التنور حتى آتي». فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومَن معهم قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا» فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية. قال: «كلي هذا واهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة». (فتح الباري، 395/7)

(11) الأطم بضمة وضمتين: القصر، وكل حصن مبني بالحجارة، وكل بيت مربع مسطح.
(12) إن ألم بكن؛ أي: إذا حصل ذلك، وهو دخول أي: غريب عنهم إليهن.
(13) رواه الطبراني وقال: «ورجاله ثقات».

فيتجلَّى لنا من خلال هذا الحديث مشاركة قائد المسلمين ﷺ في حفر الخندق، فليس هو من الملوك الذين يجلسون في القصور ويكلون الأعمال إلى غيرهم وينتظرون النتائج، فبهذه الصورة يكون قدوة للآخرين في الحرص على العمل والإخلاص في أدائه، وهو أسلوب إداري ناجح وفعّال في حث الاتباع، قد يغفل عنه الكثير من الإداريين في وقتنا المعاصر.

المبحث الثالث: سرعة إنـجاز الأعمال في الأزمة:

لقد بدأ المسلمون في حفر الخندق في وقت عصيب وبشكل سريع ومتواصل خشية قدوم العدو. وقد وكل ﷺ لكل أناس جزءًا من المكان المتفق على حفره؛ ليتمَّ الانتهاء من الحفر في أقصر وقت ممكن، علمًا بأنَّه ﷺ قد شارك معهم كما ذكرنا آنفًا، فقد روى الطبراني: عن عمرو بن عوف المزني أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حزّب الأحزاب حتى بلغ المذابح فقطع لكل عشرة أربعين ذراعًا، واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلًا قويًّا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: منا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» (المعجم الكبير للطبراني، 260/6) (14).

كما أنه من الأساليب في الإدارة الناجحة دفع الملل والسآمة عن العاملين في المشاريع، فقد كان ﷺ يبادلهم الأهازيج؛ مما ينشطهم للعمل في حفر الخندق، فقد روى البخاري: عن أنس: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

قال الفيروز آبادي: «فحفر ﷺ طولًا من أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة إلى غربي المصلى يوم العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين غربي الوادي، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع، وضرب قبته على موضع مسجد الفتح اليوم، والخندق بينهم وبين المشركين». (المغانم المطابة (134) تحقيق الجاسر)

---

(14) المعجم الكبير للطبراني (260/6) حديث (6040)، وفيه (النسختين) بدل السبختين. رواه ابن سعد في الطبقات (83/4)، وابن جرير في تفسيره (133/21)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (3/ 598)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (205/1)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (79/1)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (408/21) وغيرهم عن عمرو بن عوف المزني، فيه كثير بن عبد الله المزني: أكثر المحدثين على تضعيفه جدًّا، بل منهم مَن نسبه إلى الكذب. وقوَّى أمره البخاري والترمذي، وله شاهد من حديث زيد بن أبي أوفى؛ رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (رقم 2707)، والطبراني (5146)، وابن عدي في الكامل (207-206/3) وغيرهم، وحكم الذهبي عليه في سير أعلام النبلاء (141/1) بأنه موضوع، وفي سنده مجاهيل وراوٍ ضعيف، وشاهدان من حديث الحسين بن علي-؛ رواه أبو يعلى في مسنده (رقم 6772)، وأبو الشيخ في طبقات أصبهان (204/1)، ومن حديث أنس I؛ رواه البزار في مسنده (رقم 2524) وفي سندهما: النضر بن حميد: متروك، وسعد بن طريف الإسكاف: رافضي متروك، وقد صح موقوفًا على علي I رواه عنه: ابن أبي شيبة في مصنفه (رقم 32330)، والطبراني (رقم 6041)، وابن سعد في الطبقات (346/2، 85/4)، والخطيب في الموضح (291/2) وغيرهم من طرق عن علي I. انظر: الضعيفة (رقم 3704).

وكان المهاجرون من ناحية راتج إلى ذباب، وكانت الأنصار من ذباب إلى جبل بني عبيد، وكان سائر المدينة مشبكًا بالبنيان، فهي كالحصن وخندقت بنو عبد الأشهل عليها مما يلي راتج إلى خلفها حتى جاء الخندق من وراء المسجد، وخندقت بنو دينار من عند جربا إلى موضع دار ابن أبي الجنوب اليوم. (الطبقات الكبرى، 2/66-67).

أما المدة التي استغرقوها في حفر الخندق، فجاء فيها عدة أقوال:

1- قال ابن سعد: «وفرغوا من حفره في ستة أيام، ورفع المسلمون النساء والصبيان في الآطام». (الطبقات الكبرى، 2/67).

2- قال القسطلاني: «وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريبًا من عشرين ليلة، وعند الواقدي أربعًا وعشرين ليلة. وعند النووي في الروضة خمسة عشر يومًا. وعند ابن القيم في الهدي النبوي شهرًا». (المواهب اللدنية، 1/112).

3- وقول السمهودي: وما تقدم من فراغ الخندق في ستة أيام هو المعروف، لكن قال الحافظ ابن حجر إن في مغازي ابن عقبة: أنهم أقاموا في عمله قريبًا من عشرين ليلة، ثم ساق الكلام كما ساقه القسطلاني، ثم عقب قائلًا: والذي في الهدي -وأقام المشركون شهرًا- أي: يحاصرون. وكذا ما قاله في الروضة إنما هو في الحصار، وكذا ابن عقبة إنما ذكر ذلك في الحصار، ثم قال: «لكن نقل ابن سيد الناس عن ابن سعد أن المدة في عمل الخندق ستة أيام، ثم قال وغيره يقول: بضع عشرة ليلة، وقيل: أربعًا وعشرين» (15).

4- قول المقريزي: «إنهم فرغوا من حفره في ستة أيام». (الإمتاع، 1/216).

5- قول ابن الجوزي: «إن مدة الحصار كانت بضع عشرة ليلة، وقيل: أربعًا وعشرين ليلة، ثم قال: وفرغوا من حفره في ستة أيام». (السمهودي، 693؛ ابن الجوزي، 59)

وكان لهذه الأمور جميعًا الأثر الحاسم في تمكين المسلمين من حفر الخندق الذي يمتد «اثنا عشر ألف ذراع». في ستة أيام قبل أن يدهمهم الأعداء، وأيًّا كان من هذه الأقوال، فحفر الخندق بهذه المسافات والأطوال في الأيام المذكورة هو عمل جبار ومشروع شعبي بامتياز لحماية المدينة من الأعداء في ذلك الزمان.

المبحث الرابع: الأحوال الاجتماعية أثناء المعركة:

في حصار أي مدينة في العالم أثناء الحروب، فلا بدَّ من أن تتغيَّر الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وفي هذا المبحث يتمُّ ذكر ما حصل في المدينة أثناء غزوة الأحزاب وحصار المشركين ومَن معهم للمدينة، فمن الناحية الاقتصادية فقد ذكر صاحب السيرة الحلبية: أن مجموعة مسلحة من الأنصار خرج رجالها ليدفنوا ميتًا لهم، فصادفوا قافلة من عشرين بعيرًا محملة تمرًا وشعيرًا وتبنًا تم إرسالها من قبل اليهود -لعنهم الله- دعمًا لجيوش الأحزاب. فأخذها المسلمون وخفَّف الله بها عليهم من ضائقة المجاعة التي كانوا يعانونها (السيرة الحلبية، 2/107)، وبسبب ذلك الأمر الذي جعل المشركين وخيولهم تطوف بأعداد كبيرة كل ليلة حول الخندق حتى الصباح،

(15) وفاء الوفاء (4/1208- 1209)، وذكره الحافظ في الفتح (7/394).

فتخلفها أعداد طول النهار وأصحابها يطمعون في أخذ المسلمين على حين غرة؛ وذلك لأن خالد بن الوليد كان في هذه الغزوة قائدًا للفرسان كما كان في غزوة أحد وهو يطمع -كما فعل في أحد- أن يصيب غرة من المسلمين، وبعد قتل فرسانهم المشهورين في الهجمة الأولى تابعوا التحركات رجاء الانتقام لصناديد الكفر؛ لذلك قال ابن سعد: فكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هبيرة بن أبي وهب الذي نجا من الكرة الأولى يومًا، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يومًا، فلا يزالون يجيلون خيلهم يتفرقون مرة ويجتمعون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله ﷺ ويقدمون رماتهم فيرمون (الطبقات الكبرى،67/2).، قال ابن سعد: وبعد قتل أصحابهم اتعدوا أن يغدوا من الغد فباتوا يعبئون أصحابهم، وفرقوا كتائبهم ونحوا إلى رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذلك إلى هوي من الليل ما يقدرون أن يزولوا من مواضعهم، ولا صلى رسول الله ﷺ ولا أصحابه ظهرًا ولا عصرًا ولا مغربًا ولا عشاء حتى كشفهم الله، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله ﷺ، وأقام أسيد بن الحضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكر خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غرة من المسلمين فناوشوهم ساعة، ومع المشركين وحشي فزرق (القاموس،240/3) (16) الطفيلَ بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتله، وانكشفوا وصار رسول الله ﷺ إلى قبته فأمر بلالًا فأذن، وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة إقامة وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى -يعني: العصر- ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا». (الطبقات الكبرى، 68/2- 69).

الفصل الثالث: بيانات المعركة

المبحث الأول: عدد الجيش في الطرفين:

أولاً: جيش الأحزاب وبيان قواده:

بعد أن اجتمع الوفد اليهودي بقيادة حيي بن أخطب مع قريش وزعمائها، وبعد أن رجعوا فرحين بما جاء به ذلك الوفد الذي أنزل الله في شأنه قرآنًا. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا 51 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: 51-52].

بعد ذلك اجتمع زعماء قريش في دار الندوة (17) للمشاورة ورأوا الموافقة على ما أراده اليهود منهم، قال ابن إسحاق: «ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة (18) بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومَن تبعهم من بني كنانة، وأهل تهامة وأقبلت غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي (19) إلى جانب أحد». اهـ.

(16) زرقه: رماه، والمزراق: رمح قصير

(17) دار الندوة: مكان بمكة، أحدثه قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، قال ابن دريد: إن قصيًّا أول مَن بنى الكعبة بعد بناء تبع، وبنى دار الندوة، وهي الدار التي كانت قريش تجتمع فيها عند النوائب في الحرب أو غيرها. الاشتقاق (155).

(18) رُومة: بضم الراء وسكون الواو: أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة، نزلها المشركون عام الخندق. معجم البلدان لياقوت (104/3).

(19) نقمي: بالتحريك والقصر: موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب. ياقوت في معجم البلدان (300/5).

ثانيًا: عدد جيش المسلمين:

قال ابن إسحاق: «وخرج رسول الله ﷺ، والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين». اهـ (20).

وعندما استقرَّ ﷺ في معسكره المختار حسب الخطة العسكرية الناجحة نظم جنود المسلمين ووزعهم، فبعضهم للحراسة على الخندق ومنافذه وبعضهم على قبته؛ لأنها كانت مستهدفة من الأعداء.

وكان ﷺ يختلف بنفسه إلى ثلمة (21) (النهاية في غريب الحديث، 213/1). في الخندق يحرسها، وكان الوقت شتاء شديد البرودة وقد روى البزار في ذلك حديثًا عن عائشة قالت: كنت مع رسول الله ﷺ وهو بالخندق، فكان رسول الله ﷺ يتعاهد ثغرة من الجبل يخاف منها فيأتي فيضطجع في حجري ثم يقوم فيتسمع فسمع حس إنسان عليه الحديد فانسل في الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «مَن هذا؟». فقال: أنا سعد جئتك لتأمرني بأمرك، فأمره النبي ﷺ أن يثبت في تلك الثغرة. قالت عائشة: فنام رسول الله في حجري حتى سمعت غطيطه، فقالت عائشة: لا أنساها لسعد (كشف الأستار،333/2).

قال المقريزي: قالت أم سلمة ﷺ: شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف المريسيع وخيبر، وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة (22)، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري، فالمدينة تحرس حتى الصباح، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفًا. حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا. (إمتاع الأسماع للمقريزي،235/1)

المبحث الثاني: المناوشات بين الجانبين:

بعد الانتهاء من حفر الخندق وقبل أن يتوجه ﷺ إلى أرض الخندق، أمّر ﷺ على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم ﷺ فمن الضروري أن يولي القائد نائبًا عنه عند غيابه عن مقره ولا يتركه خاليًا دون إدارة واهتمام، ثم توجه إلى معسكره وبدأ المرابطة ومَن معه من المسلمين، فقد حاصر الأحزاب المسلمين وقتًا ليس بالقصير، قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال. إلا أنَّ فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب، واسم أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم. حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيَّؤوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون مَنِ الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها (السيرة النبوية، 224/2)، وقد أُختلف في مسألة الحصار على أقوال:

(20) السيرة النبوية (220/2)، والروض الأنف (261/3).
(21) الثلمة والثغرة بمعنى واحد وهي الفتحة
(22) الحرج: أضيق الضيق. النهاية في غريب الحديث (361/1).

1- قال ابن كثير (البداية والنهاية،4 /104) قال ابن إسحاق: «فأقام رسول الله ﷺ مرابطًا وأقام المشركون يحاصرونه بضعًا وعشرين ليلة قريبًا من شهر، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل. وبه قال ابن جرير الطبري وابن الأثير وابن سيد الناس».

2- أما ابن سعد، فقد ساق في ذلك حديثًا ليبين أنَّ الحصار دام أربعًا وعشرين ليلة إلا أن ظاهره الإرسال، وهو من رواية ابن المسيّب عن النبي ﷺ، وقد قال قبل ذلك؛ أي: ابن سعد: وحُصر النبي ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة (الطبقات الكبرى، 69/2)، والذي ذكره ابن سعد على ضوء الحديث المسند، وهو أربع وعشرون ليلة هو مقارب للقائلين بأن الحصار كان شهرًا.

3- قال ابن حجر (فتح الباري، 393/7): «وذكر موسى بن عقبة أنَّ مدة الحصار كانت عشرين يومًا».

4- قال ابن القيم (زاد المعاد، 272/3): «إنَّ الحصار دام شهرًا، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين». وهذا القول هو الراجح بين الأقوال.

وقال ابن إسحاق: في سياق حديثه عن المناوشات التي حصلت بين الفريقين، ثم تيمَّموا مكانًا ضيقًا، فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب ﷺ في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وهنا أحس الفريقان بالخطر، وكانت هي الشرارة الأولى التي ألهبت حماس الفريقين، فالمسلمون كان حماسهم يكمن في فرحهم بنجاح الخطة التي اتخذوها وهي الخندق، والمشركون كان حماسهم لقتل بعض زعمائهم كما سيأتي، وكانوا يحاولون جاهدين الانتقام، وكانوا هم أشد خطرًا؛ لأنهم هم المعتدون. كما أن المسلمين أصبحوا يطوقونهم في تلك الحالة، وهم داخل معسكر المسلمين أمامهم في الثغرة وخلفهم في المعسكر.

- مقتل عمرو بن عبد ود: قال ابن إسحاق: وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: مَن يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له: يا عمرو، إنَّك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لِمَ يابن أخي؟ فوالله ما أحبُّ أن أقتلك. قال له علي: لكنِّي والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي ﷺ وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق هاربة. واستمرَّت المعركة والحصار ثلاثة أسابيع حتى أصاب الأحزاب المهاجمين اليأس والتخاذل في صفوفهم. أما جبهة المسلمين، فبقيت صامدة ومستمرة طيلة مدَّة الحصار، ونتج عنها المناوشات خلال تلك المدة.

المبحث الثالث: اتفاق اليهود مع المشركين على غزو المسلمين من الخلف:

في أثناء غزوة الأحزاب والحصار على المدينة والمسلمين جاء حيي بن أخطب، وهو أحد الأعضاء الذين حزبوا الأحزاب إلى كعب بن أسد رئيس القبيلة الباقية من اليهود، وهي قبيلة بني قريظة، وجادله على نقض العهد وقتله في الذروة والغارب حتى وافق على ذلك بشروط تقبَّلها حيي بن أخطب.

وبنو قريظة كانوا يسكنون في العوالي؛ أي: في الجنوب الشرقي من المدينة على وادي مهزور (معجم البلدان، 234/5) ويعتبر سكنهم هذا خلف المسلمين، ويشكلون خطرًا عليهم؛ لأنَّ المسلمين مستعدُّون للعدو الذي أمامهم فقط، وقد وصف الله ﷻ ذلك؛ حيث قال سبحانه: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ 10 هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 10- 11].

وقال تعالى مبيّنًا مظاهرة وموافقة اليهود (بني قريظة) للأحزاب: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا۠ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: 26-27].

وقد روى البخاري رحمه الله نقض بني قريظة العهد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت، رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «مَن يأتِ بني قريظة، فيأتيني بخبرهم»، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: فداك أبي وأمي (23).

وروى البيهقي رحمه الله: عن ابن أخي حذيفة، قال: ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ، فقال جلساؤه: «أمَا والله لو كنا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا». فقال حذيفة: «لا تمنوا ذلك، فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودًا». وأبو سفيان ومَن معه فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحًا في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه (دلائل النبوة، 451/3)

«وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسعد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، عاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب، افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمدًا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقًا». قال: «ويحك افتح أكلمك». قال: «ما أنا بفاعل». قال: والله، إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل ففتح له». فقال: «ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر ببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد. قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومَن معه، قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه،

(23) صحيح البخاري مع الفتح (80/7) كتاب فضائل الصحابة.

فإني لم أرَ من محمَّدٍ إلا صدقًا ووفاءً، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدًا (من الله) وميثاقًا، لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ».

ومن الطبيعي لكل جيش عسكري فريق استخباراتي يجلب المعلومات المهمة لقائد الجيش؛ ليقوم بعمل اللازم تجاهها: فقد أرسل النبي ﷺ عيونه متحرّيًا عن نقض اليهود للعهد الذي أبرموه معه ﷺ، قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا، فالحنوا لي لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس. قال: فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم (فيما) نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَن رسول الله؟ لا عهدَ بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا فيه حدَّة. فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومَن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة؛ أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين». (السيرة النبوية، 221-220/2)

المبحث الرابع: الريح التي سلطها الله سبحانه على الأحزاب:

في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (صحيح البخاري، 47/5) أنَّ الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ هي (الصبا). والصبا كما قال الحافظ: هي بفتح المهملة وتخفيف الموحدة: الريح الشرقية، وضدها الدبور وهي الريح الغربية؛ ذلك لأنه حصل خلاف حول الريح التي نصرت رسول الله ﷺ، فمع كون الأحاديث صرحت بأنها هي الصبا جاءت بعض الأحاديث بأن الحوار حصل بين الشمال، والجنوب، وحصل اختلاف حول التي أبت من نصر رسول الله ﷺ، فقيل: إن التي أبت هي الشمال، وقيل: إنها الجنوب.

لكن الحافظ بيَّن أنَّ هذا الخلاف ليس له معنى، وأنَّ الصبا والدبور متعاكسان يقابلان الشمال والجنوب، وهذا كلامه:

الصبا: «يقال لها: القَبول بفتح القاف؛ لأنها تقابل باب الكعبة؛ إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور، وهي التي أهلكت بها قوم عاد» (فتح الباري، 521/2)

قال الحافظ ومن لطيف المناسبة: «كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الأدبار، وأن الدبور أشد من الصبا، قال: ولمَّا علم الله رأفة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا؛ فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحدًا ولم تستأصلهم».

ومن الرياح أيضًا: «الجنوب والشمال، فهذه الأربع تهبُّ من الجهات الأربع، وأيّ ريح هبَّت من بين جهتين منها يقال لها النَّكْباء بفتح النون وسكون الكاف بعدها موحدة ومد».

حصل فيها للأحزاب رياح قوية كانت لقوتها تقتلع الخيام وتهد الأبنية وتكفأ القدور، ولا تترك نارًا تشتعل مما جعل أبا سفيان يقول: «يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل». وقد بلغ من خوف القوم عندما توالت عليهم عوامل الهزيمة أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم - ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذرًا من أن يدخل بينكم عدو.

وقد حل عقال بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل، فقال له صفوان بن أمية: إنك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي، فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل، وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم، وأزاح الله عن المسلمين تلك الغمة، ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين منّة منه وفضلًا لساءت الحال، وكان جلاء الأحزاب في ذي القعدة. حقيقة إنها نعمة، وأيما نعمة! حيث انقشعت الغمَّة، وخلص الله المسلمين من براثن المحنة، وقطف المؤمنون الصادقون ثمار صدقهم، وصبرهم، وثباتهم، مع نبيهم الحبيب ﷺ في تلك الليالي الرهيبة، المرعبة، التي زاغت فيها الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، فقد أخذت جيوش الأحزاب في فك الحصار عن المدينة.

وأخذت كتائبهم تولي الأدبار تجر أذيال الخيبة والخسران، لم تجن من غزوها الكبير هذا سوى التعب والنصب ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَفَرِحُوا بِبَيْعِهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحج: 40] ذلك؛ لأن المسلمين رغم قلتهم وقلة عتادهم فقد نصرهم الله؛ لأنهم كانوا يدافعون عن عقيدة سامية ارتضاها الله لهم، لا كما يدافع المسلمون اليوم عن الحزب والوطن والتراب، ويزعمون أنهم ينصرون بسبب إخلاصهم لتلك المبادئ الفانية.

المبحث الخامس: دور الصحابة في المعركة:

في الدولة السليمة والمتآلفة بين القيادة والشعب، وانتشار ظاهرة الإخلاص والتفاني والتضحية في سبيل الوطن؛ حيث ينطبق ذلك على دولة الإسلام وقائدها النبي ﷺ، فبالرغم من شدة الأزمة ومن الحصار من قبل الأحزاب والخوف والأجواء غير المناسبة؛ يقوم أفراد هذه الدولة من الصحابة بواجبهم تجاهها، وتقديم التضحية لأجل الحفاظ على دولة المسلمين والاستجابة لأمر الله تعالى ونبيه الكريم، فكان لبعضهم في هذه الأزمة الدور الكبير والعمل الجميل، ومن هؤلاء الصحابة:

أولاً: سعد بن معاذ:

كان سعد بن معاذ ﷺ من السابقين إلى الإسلام، بل إنه بإسلامه أسلم قومه بني عبد، وقد شهد سعد -رضي الله تعالى عنه- بدرًا، وكان له الموقف المشجع والشهير، والذي حمده عليه رسول الله ﷺ. حيث قال للرسول ﷺ بعد كلام جميل: «فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، والذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدًا، إنَّا لصبر

في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منَّا ما تقرُّ به عينك، فسر على بركة الله». قال: فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه. (البداية والنهاية، 262/3)

وقال ابن الأثير: «ومقاماته في الإسلام مشهورة وكبيرة، ولو لم يكن له إلا يوم بدر لكفى».(أسد الغابة، 298/2- 299) أما دوره في هذه الغزوة فهو عظيم؛ حيث إنه ﷺ جاهد في الله حق جهاده حتى ضحى في النهاية بنفسه في سبيل الله وفي سبيل إعلاء دينه؛ حيث مات شهيدًا من آثار رمية رماه بها أحد المشركين أيام غزوة الأحزاب، أما عن مشاركته في الخندق: فيقول ابن إسحاق: وحدَّثني أبو ليلي عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ في الحصن قالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب. قالت: فمر سعد وعليه درع مقلصة (24) قد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربته يرقد بها ويقول: في كلمة -رفل- وأرفل جر ذيله وتبختر أو خطر بيده. فلبث قليلًا يشهد الهيجاء، فقالت أمه: الحق بني، فقد والله أخرت، قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل، رماه كما حدثني عاصم بن قتادة حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه، قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: «عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه. اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعله لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة» (25).

ثانيًا: دور نعيم بن مسعود الأشجعي:

يعتبر دور نعيم ﷺ في هذه الغزوة دورًا متميزًا، خاصة إذا عرفنا أنه في أول أيام دخوله في الإسلام، وقد اشتهر هذا الدور عند المؤرخين؛ حيث شتت الله شملهم به، وكان السبب في زعزعة الأحزاب، قال ابن إسحاق عن هذا الدور: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن منقذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال رسول الله: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة» (26).

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديمًا في الجاهلية؛ فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم وُدِّي إياكم، وخاصةَ ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشًا وغطفانَ ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم

(24) مقلصة: قصيرة قد ارتفعت. يُقال: تقلص الشيء إذا ارتفع وانقبض. مختار الصحاح (548)، النهاية في غريب الحديث (100/4) حيث قال: ومنه حديث عائشة أنها رأت على سعد درعًا مقلصة؛ أي: مجتمعة منضمة.
(25) السيرة النبوية (227/2). والحديث حسن على ضوء هذا السند.
(26) صحيح البخاري الجهاد (157)، وأخرجه مسلم في الجهاد (18، 19).

بغيره. فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة (27) أصابوها؛ وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه. فقالوا له: لقد أشرت بالرأي، «ثم خرج حتى أتى قريشًا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومَن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودِّي لكم وفراقي محمدًا، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقًّا أن أبلغكموه نصحًا لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم، فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على مَن بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجلًا واحدًا. ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليَّ ولا أراكم تتهموني، فقالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم. قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم». (السيرة النبوية، 3/229-230).

قال: حدثنا عبد الله بن عاصم الأشجعي عن أبيه، قال: قال نعيم بن مسعود: «كانت بنو قريظة أهل شرف وأموال، وكنا قومًا عربًا لا نخل لنا ولا كرم، وإنما نحن أهل شاة وبعير؛ فكنت أقدم على كعب بن أسد فأقيم عندهم الأيام أشرب من شرابهم وآكل من طعامهم ثم يحملونني تمرًا على ركابي ما كانت. فأرجع إلى أهلي، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ، سرت مع قومي وأنا على ديني».

وقد كان رسول الله ﷺ عارفًا، فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب، وهلك الخف والكراع، وقذف الله ﷻ في قلبي الإسلام، وكتمت قومي إسلامي، فأخرج حتى آتي رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء، وأجده يصلي، فلما رآني جلس، ثم قال: ما جاء بك يا نعيم؟ قلت: إني جئت أصدقك، وأشهد أن ما جئت به حق، فمرني بما شئت يا رسول الله، فوالله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له، قومي لا يعلمون إسلامي ولا غيرهم. قال: «ما استطعت أن تخذل الناس فخذل»؛ قال: قلت: أفعل، ولكن يا رسول الله أقول؟ فأذن لي، قال: «قل ما بدا لك فأنت في حلّ»، قال: فذهبت حتى جئت بني قريظة، فلما رأوني رحبوا وأكرموني وحيوا وعرضوا عليَّ الطعام والشراب، فقلت: إني لم آتِ لشيء من هذا، وإنما جئتكم نصبًا بأمركم وتخوُّفًا عليكم لأشير عليكم برأي، وقد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، فقالوا: قد عرفنا ذلك، وأنت عندنا على ما تحب من الصدق والبر، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: إن أمر هذا الرجل بلاء -يعني النبي ﷺ- صنع ما قد رأيتم ببني قينقاع وبني النضير، وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال».

وكان ابن أبي الحقيق قد سار فينا فاجتمعنا معه لنصركم، وأرى الأمر قد تطاول كما ترون، وأنكم والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، أما قريش وغطفان، فهم قوم جاءوا سيارة حتى نزلوا حيث رأيتم، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كانت الحرب أو أصابهم ما يكرهون انشمروا إلى بلادهم، وأنتم لا تقدرون على ذلك البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وقد غلظ عليهم جانب محمد،

(27) النهزة: اختلاس الشيء بسرعة، والأصل - فرصة.

أجلبوا عليه أمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبد، وهربوا منه مجرحين وهم لا غناء بهم عنكم لما يعرفون عندكم، فلا تقاتلوا مع قريش وغطفان حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم، تستوثقون به منهم ألا يناجزوا محمدًا، قالوا: أشرت بالرأي علينا والنصح، ودعوا له وتشكروا وقالوا: نحن فاعلون، قال: ولكن اكتموا عني قالوا: نعم نفعل.

ثم خرج إلى أبي سفيان بن حرب في رجال من قريش، فقال: يا أبا سفيان، قد جئتك بنصيحة فاكتم عني قال: أفعل. قال: تعلم أن قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمدٍ، وأرادوا إصلاحه ومراجعته، أرسلوا إليه وأنا عندهم أنّا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلًا نسلمهم إليك، تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم -يعنون بني النضير- ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك، فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهنًا فلا تدفعوا إليهم أحدًا، واحذروهم على أشرافكم، ولكن اكتموا عني ولا تذكروا من هذا حرفًا قالوا: لا نذكره، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إني رجل منكم، فاكتموا عني واعلموا أن قريظة بعثوا إلى محمد، وقال لهم مثل ما قال لقريش: فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحدًا من رجالكم، وكان رجلًا منهم فصدقوه (مغازي الواقدي، 2/481-482).

وأرسلت اليهود عزال بن سموأل إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش؛ إن ثواءكم قد طال، ولم تصنعوا شيئًا، وليس الذي تصنعون برأي، إنَّكم لو وعدتمونا يومًا تزحفون فيه إلى محمد فتأتون من وجه، وتأتي غطفان من وجه، ونخرج نحن من وجه آخر لم يفلت من بعضنا، ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا بِرِهَانٍ من أشرافكم يكونون عندنا، فإنا نخاف إن مستكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شمرتم وتركتمونا في عقر دارنا وقد نابذنا محمدًا بالعداوة، فانصرف الرسول إلى بني قريظة، ولم يرجعوا إليهم شيئًا، وقال أبو سفيان: هذا ما قال نعيم، فخرج نعيم إلى بني قريظة، فقال: «يا معشر بني قريظة، أنا عند أبي سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهائن، فلم يرد عليه شيئًا، فلما ولى قال: لو طلبوا مني عناقًا ما رهنتها، أنا أرهنهم سراة أصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم، فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمدًا، وانصرف أبو سفيان تكونوا على مواعدتكم الأولى. قالوا: ترجو ذلك يا نعيم؟ قال: نعم، قال كعب بن أسد: فإنا لا نقاتله، والله لقد كنت لهذا كارهًا، ولكن حيي رجل مشؤم».

قال الزبير بن باطا: «إن انكشفت قريش وغطفان عن محمد لم يقبل منا إلا السيف، قال نعيم: لا تخش ذلك يا أبا عبد الرحمن. قال الزبير: بلى والتوراة، ولو أصابت اليهود رأيها، ولحِمَ الأمر، لتخرجن إلى محمد ولا يطلبون من قريش رهنًا، فإن قريشًا لا تعطينا رهنًا أبدًا. وعلى أيِّ وجه تعطينا قريش الرهن وعددهم أكثر من عددنا، ومعهم كراع ولا كراع معنا، وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه؟ وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف، فأبى محمد إلا السيف، فهم ينصرفون بغير شيء». (مغازي الواقدي، 2/482).

فلما كانت ليلة السبت كان مما صنع الله تعالى لنبيه أن قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إن الجناب. قد أجدب، وهلك الكراع، والخف، وغدرت اليهود، وكذبت، وليس هذا بحين مقام فانصرفوا، قالت قريش: فاعلم علم اليهود، واستيقن خبرهم، فبعثوا عكرمة بن أبي جهل حتى

جاء بني قريظة عند غروب الشمس مساء ليلة السبت، فقال: «يا معشر اليهود، إنه قد طال المكث وجهد الخف والكراع وأجدب الجناب وإنا لسنا بدار مقامة. اخرجوا إلى هذا الرجل حتى نناجزه بالغداة، قالوا: غدًا السبت لا نقاتل ولا نعمل فيه عملًا، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا رهانًا من رجالكم يكونون معنا لئلَّا تبرحوا حتى نناجز محمدًا. فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا وإياه في بلادنا ولا طاقة لنا به، معنا الذراري والنساء والأموال، فرجع عكرمة إلى أبي سفيان، فقالوا: ما وراءك؟ قال: أحلف بالله أنَّ الخبر الذي جاء به نعيم حق، لقد غدر أعداء الله، وأرسلت غطفان إليهم مسعود بن رخيلة في رجال منهم بمثل رسالة أبي سفيان، فأجابوهم بمثل جواب أبي سفيان».

وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم: نحلف بالله، إن الخبر الذي قال نعيم لحق، وعرفوا أن قريشًا لا تقيم فسُقِطَ في أيديهم، فكر أبو سفيان إليهم، وقال: «إنا والله لا نفعل إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا»، فقالت اليهود مثل قولهم الأول، وجعلت اليهود تقول: الخبر ما قال نعيم، وجعلت قريش وغطفان تقول: الخبر ما قال نعيم، ويئس هؤلاء من نصر هؤلاء، واختلف أمرهم، فكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره، فكان صحيح الإسلام بعد (مغازي الواقدي، 482/2)، فبهذا الدور السياسي الذي قام به نعيم بن مسعود من زرع الفتنة والشك بين فئات الأحزاب وتثبيط المعنويات ودفعهم إلى التنازع والتفرُّق ضعفت قوة شوكتهم ضد النبي ﷺ وأصحابه.

ثالثًا: دور حذيفة بن اليمان:

لا يقل دور حذيفة عما ذكرنا من إخوته الصحابة، فكان له خاصية مميزة؛ حيث كان أمين سر النبي ﷺ في المنافقين، وكان دوره في هذه الغزوة دور استخباراتي، فقد قام بدور استكشاف خطير، ودخل في وسط الصفوف صفوف الأعداء رغم حذرهم الشديد ويقظتهم، فقد روى الإمام مسلم عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟». فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟». فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟». فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: «قم يا حذيفة، فائتنا بخبر القوم». فلم أجد بدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: «اذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ»، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يُصْلِيْ ظهره بالنار، فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «ولا تذعرهم عليّ»، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْتُ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال: «قم يا نومان» (صحيح مسلم، 1414/3-1415).

المبحث السادس: القتلى من الفريقين: لم يُقتلْ من المسلمين إلا عدد قليل، وهم:

1- سعد بن معاذ سيد الأوس وحامل لوائهم يوم الخندق.

2- أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن عامر بن زاعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وزاعورا هو أخو عبد الأشهل، كذا نسبه ابن الكلبي وهو أخو مالك وعمير والحارث بني أوس. قال ابن الأثير: «شهد أحدًا وقتل يوم الخندق» قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: «رماه خالد بن الوليد بسهم فقتله ولم يشهد بدرًا». وذلك بدليل ما أورده الهيثمي، حيث قال: «عن ابن شهاب قال: استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ بن أوس بن عبد عمرو ... إلخ»، ثم قال:«رواه الطبراني (28) (المعجم الكبير،265/1). ورجاله رجال الصحيح»

وقال ابن سعد: «وكان فيمَن قتل أيضًا في أيام الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل، قتله خالد بن الوليد».

3- عبد الله بن سهل الأشهلي.

قال ابن الأثير: «عبد الله بن سهل بن رافع الأنصاري، ثم الأشهلي من بني زعوراء بن عبد الأشهل، وقيل إنه من غسان، وهو حليف لبني عبد الأشهل»، وقال: «ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمَن شهد بدرًا من الأنصار من بني عبد الأشهل وحلفائهم، ثم قال مرة أخرى وقد ذكر ابن إسحاق فيمَن قتل من المسلمين يوم الخندق: عبد الله بن سهل من بني عبد الأشهل والله أعلم» (29).

4- ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي:

شهد العقبة في البيعتين، وشهد بدرًا، وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة، قتل يوم الخندق شهيدًا، قاله ابن إسحاق، قتله هبيرة بن أبي وهب المخزومي. وقد روى الزهري أثرًا مرسلًا، ونصّه: «استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ ... إلى قوله... ومن الأنصار ثم من بني سلمة ثعلبة بن غنمة... إلخ».

5- طفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي عقبي بدري: استشهد يوم الخندق، هذا ما قاله ابن الأثير. وذكره ابن كثير أيضًا ولم يذكره ابن سعد أثناء ذكره لمَن استشهد، ولكنه ذكره في طبقات البدريين من الأنصار، وأن الذي قتله يوم الخندق هو وحشي.

6- كعب بن زيد النجاري: قال ابن الأثير: «شهد بدرًا، قاله ابن شهاب وابن إسحاق وابن الكلبي». وقال ابن الكلبي: «قُتِلَ يوم الخندق». وقال الواقدي: «قتله ضرار بن الخطاب يوم الخندق، وبه قال ابن سعد». وقال ابن إسحاق: «أصابه سهم غرب يوم الخندق فقتله» وبقول ابن إسحاق هذا قال ابن كثير.

(28) حديث (770)
(29) أسد الغابة (171/3)، والاستيعاب (56/3).

7 - 8 سليط وسفيان بن عوف الأسلمي: وساق البزار حديثًا بسنده، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث سليطًا وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب، فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء التفَّتْ عليهم خيل لأبي سفيان، فقاتلا حتى قتلا، فأُتيَ بهما رسول الله ﷺ فدُفنا في قبر واحد، فهما الشهيدان القرينان (كشف الأستار، 333/2).

9- وقد تفرَّد ابن دريد بقوله: «ومنهم سنان بن صيفي الخزرجي، شهد بدرًا والعقبة، وقتل يوم الخندق».

أما القتلى من المشركين: فقد قُتل منهم ثلاثة فقط، وقيل أربعة، وهم:

1- من بني عبد الدار:

منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار. أصابه سهم، فمات منه بمكة.

وقال ابن هشام، هو: «عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق».

2- **ومن بني مخزوم:**

نوفل بن عبد الله بن المغيرة. اقتحم الخندق بفرسه فتورَّط فيه فقتل هناك.

قال في تاريخ الخميس: «وفي روضة الأحباب: اقتحم الخندق نوفل حين الفرار، فسقط فيه فرماه المسلمون بالحجارة، فصرخ: يا معشر العرب، قتله أحسن من هذه» (تاريخ الخميس، 487/1). وقد تقدَّم الخلاف في قاتله، فقيل: إنه بعد تورطه وصراخه قتله على ﷺ، وقيل: إنَّ الزبير قتله مبارزة، وعلى كلا الحالين فقد هلك، ولأهميته لدى المشركين، فقد بعثوا لشراء جسده ليدفنوه، فأعطاهم الرسول ﷺ وقال: «لا خير في جسده ولا في ثمنه».

3- ومن بني عامر:

عمرو بن عَبْد ود العامري. قتله عليٌّ مبارزةً، وقد سبق ذكرها.

4- حسل بن عمرو. انفرد بذكره ابن هشام؛ حيث قال: وحدثني الثقة أنَّه حُدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: «قتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو». (السيرة النبوية، 253/2).

ويمكن أن نرجع سبب قلة القتلى من الجانبين إلى وجود الخندق؛ حيث كان له سبب مباشر بعد الله. ذلك لأن المشركين تخوَّفوا من هذه المكيدة، ولم يقتل إلا مَن اقتحم أو اقترب كما فعل نوفل وعمرو بن ود.

سبت اليهود كان من عوامل هزيمة الأحزاب:

قال الواقدي: لما قالت قريظة لعكرمة بن أبي جهل ما قالت، قال: أبو سفيان بن حرب لحيي بن أخطب: أين ما وعدتنا من نصر قومك؟ قد خلونا وهم يريدون الغدر بنا، قال حيي: كلا والتوراة، ولكن السبت قد حضر، ونحن لا نكسر السبت، فكيف ننصر على محمد وأصحابه إذا كسرنا السبت؟ فإذا كان يوم الأحد، اغدوا على محمد وأصحابه بمثل حرق النار، وخرج حيي بن أخطب حتى أتى بني قريظة، فقال: فداءكم

أبي وأمي، إن قريشًا قد اتهمتكم بالغدر واتهموني معكم، وما السبت لو كسرتموه لما قد حضر من أمر عدوكم. قال: فغضب كعبد أسد، ثم قال: لو قتلهم محمد حتى لا يبقى منهم أحد ما كسرنا سبتنا، فرجع حيي إلى أبي سفيان بن حرب، فقال: ألم أخبرك يا يهودي أن قومك يريدون الغدر؟ قال حيي: لا والله، ما يريدون الغدر، ولكنهم يريدون الخروج يوم الأحد، فقال أبو سفيان: وما السبت؟ قال: يوم من أيامهم يعظمون القتال فيه، وذلك أن سبطًا منا أكلوا الحيتان يوم السبت، فمسخهم الله قردة وخنازير، قال أبو سفيان: لا أراني أستنصر بإخوة القردة والخنازير، ثم قال أبو سفيان: قد بعثت عكرمة بن أبي جهل وأصحابه إليهم، فقالوا: لا نقاتل حتى تبعثوا لنا بالرهائن من أشرافكم، وقبل ذلك ما جاءنا عزال بن سموأل برسالتهم، قال أبو سفيان: أحلف باللات إن هو إلا غدركم. وإني لأحسب أنك قد دخلت في غدر القوم. قال حيي: والتوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء، ما غدرت، ولقد جئتك من عند قوم هم أعدى الناس لمحمد وأحرصهم على قتاله، ولكن ما مقام يوم واحد حتى يخرجوا معك، قال أبو سفيان: لا والله ولا ساعة. لا أقيم بالناس انتظار غدركم، حتى خاف حيي بن أخطب على نفسه من أبي سفيان، فخرج معهم من الخوف حتى بلغ الروحاء، فما رجع إلا متسرقًا لما أعطى كعب بن أسد من نفسه ليرجعنَّ إليه. فدخل مع بني قريظة حصنهم ليلًا. ويجد رسول الله ﷺ قد زحف إليهم ساعة ولت الأحزاب» (مغازي الواقدي، 485/2)

خاتمة

بالرجوع إلى المصادر في السيرة النبوية وكتب السنة، والقراءة في أحداث هذه الغزوة، وكيف اجتمعت جيوش الأحزاب لحرب الرسول ﷺ، واستئصال شوكة الإسلام والمسلمين. تلك الحادثة التي كان اليهود سببًا في وقوعها، وكيف أدار النبي ﷺ دولة الإسلام، والتعامل مع الأزمة باحترافية وثقة بنصر الله سبحانه، مطبقًا في هذه الأزمة مبدأ الشورى، والجهود السياسية، والطلائع الاستخباراتية، وتحفيز العاملين في الدولة، وتكليف الأكفاء لممارسة المهام الخاصة، وإخبار الله ﷻ أنه رد الكافرين بغيظهم لم ينالوا مرادهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾ [الأحزاب: 25].

وكان من أهم النتائج لهذه الغزوة هو تعمق الإيمان في نفوس المؤمنين بعد رؤيتهم نصر الله لهم في هذه الأزمة العظيمة، وشمولية سيادة دولة الإسلام على المدينة بعد محاسبة يهود بني قريظة على خيانتهم العهد، وبروز هيبة دولة الإسلام في نفوس القبائل في جزيرة العرب، وأن المشركين لم يغزوا المسلمين بعد هذه الغزوة، بل غزاهم المسلمون في بلادهم. أشار إلى ذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ؒ عن سليمان بن صرد، قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «نغزوهم ولا يغزوننا». (صحيح البخاري، 48/5)

أسأل الله أن ينصر الإسلام والمسلمين في كل مكان من العالم.

المصادر والمراجع

الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم، دار الراية، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1991م.

أخبار أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م

إدارة الأزمات منهج اقتصادي، محسن أحمد الخضيري، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1995م.

الاستيعاب، ابن عبد البر، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

أسد الغابة، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

الاشتقاق، ابن دريد الأزدي، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1411هـ/ 1991م.

الإصابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ.

إمتاع الأسماع، المقريزي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م.

البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.

تاج العروس، الزبيدي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1414هـ.

تاريخ الخميس، حسين بن محمد الديار بكري، دار صادر.

تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1407هـ.

تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م.

ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1378هـ/1959م.

جامع البيان، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1999م.

تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، 1326هـ.

حاشية الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م.

دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1405هـ.

الروض الأنف، أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.

زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، ت: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1418هـ/ 1998م.

سلسلة الأحاديث الضعيفة، ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م.

سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1427هـ.

السيرة النبوية، ابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، 1375هـ/ 1955م.

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407هـ/ 1987م.

صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار التأصيل.

الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م.

طبقات المحدثين بأصبهان، أبي الشيخ الأصبهاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1412هـ/ 1992م.

فتح الباري، ابن رجب، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1422هـ.

فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، 1379هـ.

فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ت: وصي الله بن محمد عباس، طبعة جامعة أم القرى.

القاموس المحيط، أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1426هـ/ 2005م.

الكامل، ابن عدي، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ/ 1997م.

كشف الأستار، الهيثمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1399هـ/ 1979م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

مجمع الزوائد، الهيثمي، مكتبة القدسي، 1414هـ/ 1994م.

مجمل اللغة، أحمد بن فارس اللغوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1406هـ/ 1986م.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، 1415هـ /1995م.

المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار التأصيل، الطبعة الأولى، 1435هـ/ 2014م.

مسند البزار، أبو بكر البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، الطبعة الأولى.

مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1409هـ.

معجم البلدان، ياقوت، دار صادر، الطبعة الثانية، 1995م.

المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

معجم قبائل العرب، عمر بن رضا، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1414هـ/ 1994م.

مغازي، الواقدي، دار الأعلمي، الطبعة الثالثة، 1409هـ/ 1989م.

المغانم المطابة، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار اليمامة.

المواهب اللدنية، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني القتيبي المصري، المكتبة التوفيقية.

موضح أوهام الجمع والتفريق، الخطيب البغدادي، دار الفكر الإسلامي.

النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، المكتبة العلمية، 1399هـ/ 1979م.

وفاء الوفاء، علي بن عبد الله السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ.

الوفا بأحوال المصطفى، ابن الجوزي، ت: عامر حسن صبري التميمي، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمملكة البحرين.